شعر

إن لم يبق شيء داخل الحلم

عملٌ لا يأتي إلا من الريح

لويس غارسيا مونتيرو
تقديم وترجمة: جعفر العلوني

«الجحيمُ هو الآخرون». هذا ما وصل إليه سارتر في مسرحيته الوجوديّة «جلسة سريّة». ولكن هنا الأمر مختلف تماماً، فمكان الأزمات الوجودية والاجتماعية والسياسيّة ليس الآخر فحسب، بل الذات أولاً. حقاً، إن الجحيم لا يكمن إلا فينا. لقد أغلق الشاعر الإسباني لويس غارسيا مونتيرو Luis García Montero (مواليد غرناطة، 1958)، باب الوجود على ذاته، ليبحث، شعرياً، في جلسة سريّة مع نفسه، جذور أزمة الوجود الكامنة فيه. والنتيجة كانت ديوانه الشعري الصادر عن دار Visor تحت عنوان «سريّاً»، والذي نترجم هنا مختارات من قصائده. على مفترق زمن مظلم، يكتبُ الشاعر معالم يوميات هويّة لا تعيش إلا في هشيم الجحيم. يعكس الشاعر إلى أيّ مدى أصبحت الأزمات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي يعيشها إنسان اليوم أزماتٍ حميميةً، وإلى أيّ مدى تتداعى الأسس والقيم والمشاعر التي شيّد عليها عالمه. هكذا في لحظة وجوديّة حاسمة، يقرّر الشاعر أن يبحث في خريطة الفشل الجماعي عن أسباب الحيرة، والتدهور، وخيبة الأمل، والغضب، والحزن، ولكن عن الحبّ والحنين والصداقة أيضاً. هنا، بشكل خاصّ، يسأل الشاعر: هل ثمة من إمكانية لإعادة البناء، وسط هذا الخراب اليومي الذي نعيشه؟ هل ثمة إمكانية للمسامحة؟ هل هنالك مكانٌ للحب؟ لعل الأنقاض تسعفنا، كشكل من أشكال الأمل. يصرخ الشاعر بحسرة، واثقاً بقدرة الشعر على أن يكون الشعاع الذي ينير هذا العالم المظلم. على أن يكون عنصر الوضوح، والوعي والتحوّل. يحلم مونتيرو بزمن جديدٍ وأفكار تجعل ذلك ممكناً. فهو يعيش في زمن «يحتضرُ الضوءُ فيه»، لكنه مع ذلك لا يزال يحتفظ بأمل الانتظار.

طرقٌ، ذاهبةٌ عائدة

خارجاً مني
داخلاً إليّ،
الدَّيْنُ يفتحُ فيَّ طريق ذهاب وعودة.
بعضُ قلبي لكي يزرع شجرَة
يعدو بين ذكرياتي بحثاً عن مرآة.
وحين يرى المدينة خارج جسدي
يقتربُ حتى الدمع
ثم يطأ ظلّي لكي يبقى مع الخوف.
ريحُ الجسدِ تأخذه إلى أمي
والملاءات تتجعد بين دعسَاته.
طريقُ الرّجعة حلمٌ فيّ،
والبقية كلماتٌ:
كلماتٌ في العين،
كلماتٌ تذهب
وأخرى تعود القهقرى.

وقت بين موسمين

ضد جسدي
ضد ذاكرته وأسبابه،
التاريخُ يعودُ بي إلى امتحان الحياة
كما لو أنني أعيش مراهقةً ثانية.
واعودُ لأخافَ مما أحبُّ:
رفاهية هذا الوقت من زمني المتأخر.
لا أريدُ عالماً يفكرُ ويحبُّ ويفيض بقوانين
الآخرين الصاعدة من الطابق السفلي.
أريد غرفةً حتى في بيتٍ يكون شجرةً مريضة.
هنا الذاكرة، هنا سنوات الحلم،
مطرُ الطُرق في كلّ كتاب قرأته،
ونافذةُ كل مدينةٍ زرتها
لا احتفظ بها إلا في ثوبي.
وأتقصّى في مدينة اليوم
خطى الحلم،
أتقصّى النجاح وقلقي،
أتقصّى كل خيانةٍ وولاء
مع كل فجرٍ متأمر
غير أنها لا أُدرِكُ في دفتر خيباتي وأملي:
لهذا أجول في هذا العالم،
أتحدّث، أرفضُ، العنُ، وأتمل
أحمل عبء الوقت العابر
لكلّ من يحرقُ يديه بهذي الشمس الجديدة،
وهذا القمر الفتي:
داخلاً، خارجاً،
أهرب من مرايا المقاهي،

لويس غارسيا مونتيرو في برلين عام 2013 (Getty)

كي لا أتعرّف، صدفةً،
على نفسي.
لا يهمُّ
سافرت أم بقيت
ما يهمّ، حقاً، أن تكون متوجّساً
وأن تعيش في أرق.

المرآة الأخرى

أراك تقودُ على طريق المساء.
بعيون مسفرة.
تعود إلى مدينتك
تاركاً على حافة الطريق،
خلفك،
حياتك، والحبّ
كأنهما شجرةٌ عارية.
لا تنخدع،
إنّ أوراقها دائمة الخضرة.
الشيخوخة
هي عادة الوجه أن يفاجئ التجاعيد،
أن يواجه هويته الخاصة،
تلك السيرة المكتسبة
للقاتل البريء.
كمثل كل الأقدار المبتذلة،
قدرُكَ يقيمُ في بقع جلدي:
وهنّ يجلد ذنبي.
السرعة والبطء
لا يتجادلان من أجلنا
على جانبي المرآة.
إشاراتٌ، إرثٌ وآثار.
حين تصلُ إليّ
لن يكون قلبي
ساكون أنا من يفكرُ في كلّ شيء.

طريف الظل

أنتَ لا تسكنُ في هذا العالم
لا تستطيع أن تقيم في أغنية مجروحة
أو في وردة ربما كان اسمها العام 2014،
أو في أثر تركته الذكرى
حين مست ساعات الموت بيديها.

أنت لا تسكن في هذا العالم.
مع ذلك، لست غائباً.
أنتَ من لم تكن
أنتَ من لم يحدث
وأنت ما مرّ دون أن يرى الفجر.
ربما لأن الظل كان أكبر،
إمبراطورية هذا العالم لا تريد أن تراني.

إرادة

في مقعد القمر الأصفر
أجلسُ وأقلّب دفتر أيامي.

بنافذة مكسورة
ورأس شامخ أصرخ:
لم أعدْ موجوداً.
أنهضُ وأتركُ مدينة نائمةً
وأخرى ساهرةً خلفي.

لا أريد أن أكون هناك،
أريد أن أقلّب دفتر أيامي
أن أقرأ فيه أنني
لن أضيع في مقعد القمر الأصفر.

جغرافية

لا يابسة خلف البحر،
لا شيء إلا سفنٌ
ونسيانٌ من زبدٍ رمادي.
لا ليلَ خلف الجبل الذي يعلن الفجر
لا مدينةٌ نائمة
ولا زرقة،
العالم مسجونٌ
والكلمات محاطة بأظافر قطة.

لا حلزون خلفي،
ولا يابسة خلف البحر.
ليس ثمة إلا حبٌّ حيث يُسفعُ الموج.

بطالة

كلماتُ الشتاء تنده لي
أدخل فيها.
تتأسف مني دون أن تنظر إليّ:
لم أعدّ أعمل فيها.
أعود للربيع
وأحزم فيه صندوقَ أشيائي الأسود:
الشمسُ، الغصن الأخضر
وأشعاري.
آخذ أشيائي إلى صيفٍ مغلق
لا عمل فيه
إلا صوت منيه حزين.
أتنهدُ الخريف
وكياني المحي.
همس أوراق صفراء يخبرني
عن عملٍ لا يأتي إلا من الريح.

نوافذ مغلقة

كانت الكلماتُ البسيطة مرتاحةً
في أفواه البشر تحت شمس الظهيرة
حين جاءت هذه القصيدة
وأغلقت عليها في البيت،
وصارت ضحية الظل.

لا شيء يمكن أن أتوقعه من زيارتها
لذلك الغيتار الأسود،
إلا أفكارٍ يائسة
وخيبات أملٍ ملتهبة.

يتحدثون عن الفجر ويسقط الرماد
يبحثون عن البصر ويجدون العماء
كلما لفظنا كلمة العالم.
إن لم يبق شيء داخل الحلم،
دع الكلمات تتنفس لغة الشارع.

الساعة الأخيرة

ليس الوقت نهراً.
ليس صوتاً في نبع
أو رملاً يمرّ بين الأصابع.
ساعة على جدار
هذا هو الوقت.
وعلى الجدار أضع نفسي،
بلا احتجاج،
بعينين وذراعين مفتوحين
لكي تطلق النار عليّ.

بطاقة

لويس غارسيا مونتيرو، شاعر وناقد ادبي من مواليد غرناطة عام 1958، وهو استاذ الادب الاسباني في جامعتها، كما يعمل حاليًا مديرا عاما لـ«معهد ثيرانتس». له احد عشر كتابا شعريا والعديد من الدراسات الادبية. من بين اعماله الشعرية: «أزهار البرد» (1991)، «غرف منفصلة» (1994)، «حميميّة الاقصى» (2003)، «ملابس الشارع» (2011)، «سريا» (2017).

إطلالة

أسئلةٌ تُحرج الروايةَ نفسَها

هل قرأت دان براون؟

هل ستعود الرواية للتساؤل عن المصير، عن الحرّية والكرامة والقمع، أم أنها ستنتهي إلى أن تكون محلّاً للتسلية بالغاز ملفّقة ومحبوكة جيّداً؟

معدوح عزام

لا تستطيع أن تقول أيّة كلمة بينما يضع محدّثك، أو محدّثوك، اسم دان براون وروايـاتـه مقياساً للرواية: هل قرأت «شيفرة دافنشي»؟ وفي الغالب سوف تتردّد في أن تقول لا، وسوف تُتَهم أنك لا تعلم أين وصل فن الرواية، أو أنك مقصّر في معرفة أين وصل هذا الفن. لا تستطيع أن تدفع بجيمس جويس الغامض المعقّد الذي لا يعرف كيف يخبك رواية مغامرات إلى السِّجال، ويجب عدم التطرق أيضاً إلى فلوبير، الموضة العتيقة المتعبة، ويمكن التسامح قليلاً ونظرياً مع تولستوي باعتبار أن رواية «الحرب والسِّلم» يمكن أن تكون قد ضمنت لنا لغزاً ما، وبعض التشويق. ويبدو أن «الرواية» التي تسود اليوم تضع النوع الروائي أمام إحراج كبير، أو تضعه موضع التساؤل: هل يمكن أن تعود الرواية إلى العالم الجوّاني للبشر؟ هل ستعود للتساؤل عن المصير، أو الوجود، أو تعيد طرح الأسئلة عن الحرّية والكرامة والقمع، أم أنها ستنتهي إلى أن تكون محلّاً للتسلية بالغاز ملفّقة ومحبوكة جيّداً؟

والظاهر أننا نعيش سجالاً بين مجموعة من القوى، الأولى هي الروائيون المبدعون القادرون على التأسيس والكتابة بعيداً عن أية تأثيرات جانبية غير تأثيرات عالم الرواية والروائيين، والثانية هي القرّاء الذين يشكلون قوّة ضغط خارجية باختيارهم نوعاً ما من الكتابة، والإقبال على شرائه والترويج له، والثالثة هي قوى التسويق والتجارة في المؤسّسات الإعلانية الكبرى التي تقرّر النجاح أو الفشل أمام طريقة محدّدة من الكتابة، أو تستفيد وتعمّم النجاح في حالة أي نمط من الكتابة. ويبدو لي أن القوّة الثالثة اليوم هي الأكثر فاعليّة، بينما يوضع طرفا المعادلة ـ أي الروائي والقارئ ـ تحت السيطرة. من غير الممكن عَمَلياً أن يصل دان براون، أو ماركيز نفسه ـ مع الفارق الهائل بين الاثنين بالطبع، ولكنّي أذكرهما للتمثيل فقط لا للتشابه أو لتساوي القيمة الأدبية، في تلك السنوات التي كان رائجاً فيها ـ أو هاروكي موراكامي، أو غيرهم من الكتّاب، إلى القارئ العربي دون عمل تلك المؤسسات الإعلانية الخفيّة التي تمتلك خُبراء في الترويج وفي مطالب السوق، أو حاجاته. والظاهر أن خبراء تلك المؤسّسات الترويجية، يعرفون ما الوظائف الروائية، أو وظائف الحكاية، التي يمكن ترويجها في زمن ما، وما الوظائف التي تذهب إلى الكساد في الزمن نفسه أو في زمن آخر. والمسألة المهمّة هنا هي رضوخ الروائيين أنفسهم لمثل هذه السياسات، وانخراطهم في الرائج واعتبار أن هذا النمط السائد هو معيار الكتابة، والخضوع لمزاج القرّاء المصنوع بدوره في مختبرات الدعاية والترويج. في هذه الحالة يتحوّل الروائي بإرادته إلى تابع، إلى قوّة ثالثة تابعة، بعد المؤسّسة والقارئ، ويصبح الأمر كارثياً في بلداننا التي تأخذ فن الرواية كلّه من مصادر أخرى، حيث يمكن أن يتساوى الروائيون وراء الموضة، وفي هذه الحالة يمكن للجوائز، إذا ما أخذت سياقاً ما، أن تكون أحد عوامل تعرية الروائيين من أصواتهم الخاصة ومن تفرّدهم. وهي مشكلة تُظهر هشاشة الثقافة العربية، أو غير العربية، الروائية.

الإشكاليّ هو خضوع روائيين لمزاج قرّاء يصنعه الترويج

(روائي من سورية)

فاتح المدرّس، زيت على قماش، 70 × 80 سم، 1993

معرض

ستّون عاماً من الكاريكاتير المصري

استعادة محمد عبد المنعم رخا

يستعيد معرض «رخا.. المُعلّم الأوّل»، المُقام حالياً، تجربة أحد أبرز رواد فنّ الكاريكاتير المصري، تزامُناً مع ذكرى ميلاده الحادية عشرة بعد المئة

القاهرة ـ العربي الجديد

قبل أنْ ينشر محمد عبد المنعم رخا (1920 - 1989) أولى رسوماته في مجلّة «الفنّان» التي أصدرها الكاتبُ المسرحيُّ محمد يونس القاضي (1888 - 1969) نهاية عشرينيّات القرن الماضي، كان فنُّ الكاريكاتير يبدو وكأنّه مجالٌ مستعص على المصريّين؛ إذْ كان جميعُ رسّاميه في الصحف والمجلّات المصرية، خلال تلك الفترة، أجانب؛ وأبرزُهم الإسباني خوان سانتوس (1881 - 1945) في مجلّة «الكشكول»، والتركي علي رفقي في منشورات «دار الهلال» مثل «المصوّر» و«الفكاهة»، والأرمني الكسندر صاروخان (1898 - 1977) في «روز اليوسف».

كانَ لكلّ من الرسّامين الثلاثة، الذين يُعدُّون مُؤسّسي مدرسة الكاريكاتير المصرية، أسلوبٌ خاصّ تأثّر به رخا الذي راح يتساءل، وهو يتّجه إلى دراسة الرسم في «مدرسة دافينشي» الإيطالية بالقاهرة (سيتخرّج منها عام 1927): هل الكاريكاتير لغزٌ مستعص على المصريّين؟ وكان عليه أنْ يُقدِّم إجابةً عمليةً بالنفي حين بدأ ينشر رسوماته في «الفنّان» التي لن يستمرّ صدورُها سوى لأعدادٍ قليلة.

بعد إغلاق مجلّة يونس القاضي، أخذ رخا ينشر رسوماته في مجموعةٍ من المجلّات الأسبوعية في وقتٍ واحد، من بينها «المصري» و«الصباح» و«أبو الهول» و«المستقبل» و«المسرح»، ليبرّرَ اسمُه كاوّل رسّام كاريكاتير مصري، ولم يكن حينها قد بلغ الثامنةَ عشرة من عُمره. محطّتُه المقبلة، والفارقة في تجربته، كانت مجلّة «الإثنين» مع تولّي مصطفى أمين (1914 - 1997) رئاسة تحريرها عام 1941؛ حيث وصل عدد رسوماته المنشورة في العدد الواحد منها إلى أكثر من عشرة أعمال. ولاحقاً، عام 1944، أسهم مع أمين - الذي وصفه بأنّه «أوّل مصري ينبغ في فنّ الكاريكاتير» - وآخرين في تأسيس مجلّة «أخبار الأدب» التي بقي فيها حتى رحيله.

سعى إلى تمصير فنّ الكاريكاتير بتبنّي هموم المصريّين وقضاياهم

وخلال تلك الفترة، انتشرت رسوماتُه في عددٍ من المجلّات المصرية الأخرى؛ مثل «الجيل» و«آخر ساعة» و«روز اليوسف». تناول محمد عبد المنعم رخا، في كاريكاتيراته، هموم المصريّين وقضاياهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ضمن توجُّه لـ«تمصير» فنّ الكاريكاتير؛ من خلال النكتة اللاذعة والشخصيات «البلدية» التي تبدو أكثر قرباً من البسطاء؛ فابتكر شخصيات أيقونية مثل: «ابن البلد»، و«بنت البلد»، و«رفيعة هانم»، و«السبع أفندي»، و«حمار أفندي»، و«ميمي بك»، و«قرفان أفندي»، و«غنّوشُ الحرب».

وبسبب واحدةٍ من رسوماته اللاذعة تلك، حُكم عليه بالسِّجن لتسعة أشهر بتهمة «إهانة الذات الملكية» منتصف الثلاثينيات. ومن المفارقات أنّ الملك فؤاد (1868 - 1936) مات بينما كانَ رخا يهمُّ بالخروج من زنزانته التي كان عبّاس محمود العقّاد رفيقه فيها، فنسي أمرَه، ولم يُفرَج عنه إلّا بعد مرور أربع سنوات. أصدر رخا عام 1946 كتاباً بعنوان «صور ضاحكة» جمع فيه عدداً من رسوماته، وفي عام 1984 أنشأ «الجمعية المصرية لرسّامي الكاريكاتير».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من المعرض

فعاليات

حتى شباط/ فبراير 2022، يتواصل في فرع «مركز بومبيدو» بمدينة ميتز الفرنسية (شرق)، معرضٌ جماعي بعنوان **ان تكتب يعني ان ترسم**، يجمع أعمالاً فنية تحاور منجز الفنانة اللبنانية، الراحلة اخيراً، **إيتيل عدنان** (1925 ـ 2021). من الفنانين الذين تحضر اعمالهم: **لويز بورجوا**، و**ايرما بلانك**، و**بيير اليشنسكي**.

تقام اليوم ورشة بحثية حول الحدود كموضوع للدراسات الأنثوغرافية في **جامعة سوسة** (تونس)، ضمن ملتقى علميّ انطلق امس بتنظيم من **جامعة لايبزيغ** الالمانية و**مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية** في سوسة، ويضم سلسلة ندوات حول دراسات الحدود وما يتقاطع معها من قضايا، مثل: الهجرات الجماعية والسرية والادماغة، والعنف الاجتماعي، والعنصرية.

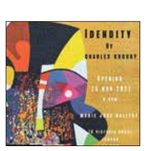

منذ 15 من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، يُقام في «غاليري ماري جوزيه» بلندن معرضٌ لاعمال الفنان التشكيلي اللبناني **شارل خوري** بعنوان **هوية**. يعتمد خوري، في لوحاته ذات المحامل القماشية، على تكثيف العناصر وتشظيتها، وتحضر فيها رموز مكوّنة من حيوانات او من اغراض الحياة اليومية البسيطة.

بداية من العاشرة من صباح اليوم، تنظّم «دار الكتب الوطنية» في تونس العاصمة ندوة لتكريم الباحث في المعجميات **توفيق بن عامر** بمشاركة عدد من طلبته وزملائه، كما يجري إطلاق كتاب جماعي حول مسيرته ضمن سلسلة **اعلام الجامعة التونسية**. من المشاركين: **صبحي العمري**، و**لطفي بن ميلاد**، و**رجاء بن سلامة**.